عودة الروح

عبد الرحيم خير- مصر

كانت دائما تسألُ نفسها أَليس الحب أروَاحا تُفارق أجسادَها لتَسكن أجسادًا أُخري ؟! تُفارقنا أرواحُنا لتسكن أجسادَ من نحب ؛ ومتي فَارقنا من نُحب فَارقتنا أرواحُنا ورحلت معه .....

؛ نصبح ساعتها كأننا موتي علي قيد الحياة ولايُحيينا إلا الوصال ؛ ولأنها روح واحدة ، علينا أن نحسن الاختيار ....

فارقتْني رُوحي منذ أن فاقَني ؛ وهو يظُن أن الحب كلماتٌ تقال ؛ لا يعلمُ أنهُ أرواحٌ تنتزع ؛ وقلوبٌ تتقطع من آلام البعد ومرارة الفِراق ؛ كانت تحدث نفسها ؛ وهي تُقلب في صوره ورسائله ، وتسرح بخيالها بعيدا عند النهر ؛ لقد شهد النهرُ قصتَهُما ؛

وعرف حكايتَهُما ؛ كان في كل لقاء يخبرها أنه يري النهر في عينيها ؛ إنهما باتساعه ولمعانة وصفائه ؛ وتدفقه ؛ كان دا ئما يري عينيها نهراً كبيرًا متي نظر إليهما أَدركَه الغرق! .....

تجلس في غرفتها وحيدة تسألُ نفسها : ما الذي حدث في هذا اللقاء ؟ أهان عليه قلبي الذي أحبه ؟ هل هانت عليه رُوحي بعد أن ملكها ؛ ليرحل في هدوء دون أن يودعني أو يُعيد إليّ رُوحي التي فارقتني معه ، متي تعلم هذه القسوة ؟

ومن أين له هذا الصبر ؟ من علمه الهجر والجفاء ؟! .....

كأنّها تلوُم نفسها ؛ لأنها لم تتكلم ولم تُصرح بحبها ؛ لكنه كان يدرك أنها تحبه ؛ بل ربما حبها له أشد ؛ حتي وإن لم تتكلم أو تُعبر ؛ أو تقول ....

كانت تري الحب بعين متأَملةٍ ؛ كانت تؤُمن أن الأنثي يجب أن تكون مدللة ؛ يجب أن تكون ملكة متوجة علي عُروش قلوب المحبين ؛ كانت تؤمن أنها مالِكةٌ لقبه ؛ هي من تأمر وهو من يطيع ؛ هو من يتغزل وهي من تتمنع ؛ هو الذي يفضحه هواه ويبوح بحبه ؛ وهي من تكتم وجدها وتداري حبها ؛

تكتم نار حبه التي اشتعلت بقلبها ؛ وتداري حنينًا يزداد كل يوم بقلبها ؛ تكتم كل ذلك ليوم يَجمع شملَهُما ؛ تظن أنها تدخر كل ذلك لهذا اليوم ؛ ودائما تَدعُو في صلاتها أن يكون قريبًا .....

أزعجَه منها ذلك اليوم بخل مشاعرها وحرصها ؛ وكتمانها ظن أنها لا تبادله هذا الحب الذي ملء

أركان قلبه فأصبح لا يصبر علي صمتها وكتمانها ؛ يريدها أن تصارحه أن تسمعه كلمة – أحبك – تروي بها ظمأ حبه وتخمد بها حريق قلبه ؛ وترمم بها شروخ روحه المشتاقة لقربها ؛ لكنها تمنعت وفضلت الكتمان .....

كأنّه كان في هذه اللحظات كالظمآن الذي يطلب الماء فمنعته ؛ كان كالغريق الذي استنجدها لتنقذه من الغرق فخزلته ..

لذا قرر الابتعاد يظنُ أنه ببعده يختبر صدق مشاعرها وحقيقة حبها .....

اليوم مضي علي فراقهما أكثرَ من عام ؛ مضت كل دقيقة كأنها دهرٌ ؛ لم يحاول أحدُهما أن يتصل بالآخر ؛ لم يتغير أحدٌ منهما في شيء – كأنهما لم يفترقا بعدُ – هو هو نفس الشعور ؛ ونفس الإحساس

ونفس الشوق واللهفة ؛ بل ربما زاد البعد لهيب الحب بقلبهما ؛ وتضاعف شوقهما إلي لقاء قريب كلٌّ منهما يتمناه ؛ وينتظرُ قدومه علي جمر الأيام التي لا تكادُ تَمر ....

يغالبان الشوق ؛ كل منهما يراقب هاتفه كأنه ينتظر غائبا طالت غربته ....

هو يظن أنها سعيدة فلا يحاول أن يعكر صفوها وسعادتها ؛ باتصال قد لايجد منه إلا ألما يزيدُ من معانته إن هو وجدها قد نسيت ما كان بينهما ، وتقضي حياتها مستمتعة سعيدة لا يخطر ببالها ، ولا تذكر عهدا وحبًا وأيامًا كانت بينهما .....

وهي كذلك تظن أنه قد نسيها ويعيش حياة

جديدة سعيدة مع غيرها .....

حاولت كثيرا أن تعود وفي كل مرة يمنعها الكبرياء ؛ وكيف لها أن تعود ؟ وهي التي طالما شددت عليه أن يتركها ولا يحاول حتي أن يتصل بها بعد ذلك الخلاف الذي كان بينهما ...

كانت كلماتها قاسية للحد الذي لم يعرفه من قبل ؛ كانت وكأنها تختلق الأسباب لتبتعد ؛ لقد حاول هو أن يغازلها ؛ لتهدأ ؛ حاول أن يحتويَ ثورتها التي كانت وكأنها أشتعلت لتُحرق كل ما بينهما ولا تبقي منه شيئًا .....

ساعتها لم تكن تقصد تلك الكلمات التي قالتها ؛ كانت تعتقد أن حُبَّه لها سَيُنْسيه تلك اللهجة القاسية التي تحدثت بها ؛ لأول مرة منذ أن عرفها ؛ هي حقا كانت قاسية ؛ ربما هي تعودت أن تكون طفلتة المدللة لا يرفض لها طلبًا ؛ هي نفسها كانت تظن ذلك دلالا منها عليه ؛ كانت تُحبه حين يحتوي ثورتها ويحتمل غضبها ؛ ويطلب رضاها ، كانت وكأنها تختبر صبره وتمتحن تحمله ؛ لكنها بالغت كثيرًا ....

كانت دائما تتمنع ، وهي له راغبة ولقلبه عاشقة ؛

دائما لاتبوح ؛ لا تتكلم ؛ لا تعبر عن حبها ؛ كأنها لا تشتاق ؛ ولا تشعر ؛ كأنها لا تبادله الحب ؛ كأنها لا تحبه هو ؛ بل تحب نفسها وتحب منه ذلك الحب الكبير الذي ملء قلبه ففاض علي لسانه غزلا وشعرا ومدحا في محاسنها ....

كان دائما هو المتكلم ؛ هو من يتصل ؛ هو من يشتاق ؛ هو من يحن ؛ أما هي ؛ فكانت تحب منه ذلك الشوق الذي يدفعه نحوها ؛ دائما تكون هي المخطئة ويبدأ هو بالحديث والاعتذار ؛ ولأنها أنثي تعودت أن تكون مطلوبة ؛ هي عاشقة له لكنها دائما تتمنع ....

هي تحبه كما يحبها ؛ لكنها تحب ذلك منه – ربما هي تعودت ذلك في حبها له تعود أن تكون معشوقته وأميرته ؛ ومالكة قلبه ؛ تعودت أنه يسترضيها حتي ترضي وإن كانت هي المخطئة ..

لكن ما الذي حدث في تلك المرة ؛ لم تكن هذه أول مرة بينها وبينه هي ربما كانت تحب تلك الأوقات التي تغضبه فيها ؛ أو يغضبها هو ؛

كانت تتعمد ذلك من قبل – لأنها كانت تعلم أن ذلك لن يدوم طويلا وأن تلك اللحظات التي يبدآن فيها العتاب ستكون أجمل اللحظات بينهما ....

كان ساعتها يسمعها من الكلمات ما يجعلها تذوب فيه شوقا حتي أنها كانت تتمني أن حياتهما معا تكون كتلك اللحظات .....

لم يكن أحب إلي قلبها من تلك الكلمات التي يقولها ساعة العتاب ؛ تلك الكلمات التي يذوب منها قلبها وتتمني لو قبلته و أحتضنته من شوقها وصدق إحساسها ومتعتها بما يقول .....

كانت سَاعَة العتاب بينهما خيرٌ من ساعات الحب وأجمل من ساعات اللقاء ؛ هي ربما كانت تفتعل ذلك من أجل ساعات العتاب ؛ كان في كل مرة يسترضيها ويسمعها من كلمات الحب مالم تسمعه من قبل – هي ربما كانت تفتعل المشاكل شوقا لساعات الصلح والعتاب .....

يتكر في رأسها نفس السؤال: ما الذي حدث تلك المرة ؟؟

هل أخطأت التعبير ؟! هل جرحت كرامته بتلك الكلمات التي لم تقصدها ؟!

الآن هي من تحتاجه وتشتاقه ؛ وتود لو سمعت صوته واطمأنت أنه بخير أنه لم يتغير ،لم ينس حبا وعهدا بينهما ..

لكن ماذا عساها أن تفعل وقد قُطعت طُرق الوصل بينهما ؟؟

لم تفكر كثيرا فقد ملك الشوق إليه زمامها فانقادت مطيعة لقبلها لتجد نفسها تمسك بهاتفها لتتصل به ...

يدها ترتعش وقلبها يرتجف ولسانها ينعقد ولا يكاد ينطق بكلمه !!

المكان هادئٌ تماما سوي من صوت أنفاسها الذي بدا يعلوا شيئا فشيئًا ؛ وهي تنظر إلي هاتفها وتنتظر رده علي مكالمتها ؛ مضت تلك اللحظات وكأنها سنة كتلك التي مضت علي فراقهما تماما ؛ كادت أن تنهي المكالمة خوفا من ذلك الرد المجهول الذي

ينتظرها ليسعدها حد الاكتفاء أو ليحزنها حد الضياع .....

باتت ترتب كلماتها لتسترضيه كما كان يفعل هو من قبل ؛ قررت أن تتجرأ لأول مرة لتسمعه تلك الكلمة التي تمنعت عن قولها مرارا قبل ذلك بحجة أن حبها له أكبر من كلمة- أحبك - التي يود أن يسمعها ؛ ها هي الآن - هي التي تود أن تتكلم ؛ تود أن تبوح تود أن تصرخ من أعماقها لتقول له : أحبك ؛ أحبك أكثر من نفسي ؛ وأشتاقك وأود لو كنت الآن بجانبي ...

تود لو قالتها وكررتها ؛ تود أن تصرخ بها ليسمعها قلبه ؛ قبل أذنيه ؛ تود أن تصرخ بها ليعلم العالم كله أنها تحبه ؛ أنها تشتاقه ؛ أنها تتمني قربه وجواره تتمني أن تقضي عمرها معه وبجانبه ؛

الآن هي ما عادت تخشي العالم .... كان رده عليها هو ماء الحياة التي روت أرضا كادت أن تموت ، لم يبدأها بالكلام كعادته السابقة فقد اعتادت منه أن يفتح الخط وينتظر دقائق لا يكلمها كان دائما يحب أن يسمع صوت أنفاسها أولا .....

الآن هي أيضا تحب أن تسمع صوت أنفاسه لقد غلبها الشوق ؛ كانت وكأنها تتنفس من أنفاسه ؛ لقد زاد شوقها وحنينها ؛ تمنت لو كانت بجانبه الآن لتقبله وتحتضنه وتصرخ بأعلي صوتها أنها تحبه ولا صبر لها علي بعده وجفاه ..

مضي وقت طويل ولم يتكلم أحدُهما ؛ تلك اللحظات قال فيها كل منهما أحلي ما سمعه المحبون من كلام ؛ فقط بصوت الأنفاس ...

تعالت أنفاسه للحد الذي تخدر معه جسدها ؛ قطعت هي صوت أنفاسهما بقولها ؛ بحبك ؛ بحبك ؛ بحبك ؛ أخذت تكررها مع صوت أنفاسه الذي تعالت نبرته ؛ وارتفعت حرارته ؛ وزادت معه دقات قلبه الذي أحبها بجنون ..

كانت أولي كلماته لها لقد اشتقت لصوت أنفاسك بعد أن مضي عام وخمسة أيام وسبع ساعات ولم أسمعه .... ذهلت من تلك الكلمات التي تسمعها وكأنه كان يعد الأيام والساعات ينتظر فيها عودتها التي طالت كثيرا ؛ ذهلت كذلك من تلك

الدقة في حسابه ، رغم أن ذاكرته ضعيفة خاصه في حساب الشهور والأيام وتذكر الاحداث والتواريخ ؛ هي تعلم ذلك جيدًا....

قال تلك الكلمات ثم عاد إلي صمته من جديد ليسمع صوت أنفاسها مرة أخري ليستمر صمتهما كثير ا ليقول كل منها لصاحبه كلاما ظل حبيسا بقلوبهما لأكثر من عام .....

في نهاية المكالمة اتفقا معا علي اللقاء في نفس المكان الذي كان يجمعهما من قبل – عند النهر ساعة الغروب كان ذلك هو الوقت المحبب للقائهما – أحست ساعتها أن روحها تلك التي فارقتها قد عادت إليها من جديد ؛ ولأول مره كانت هي من تبدأ بالكلام ..

كانت دائما هي من تسمع دون أن تكلف نفسها مشقة الحديث ؛ لقد تجرأت بعد أن غلبها شوقها إليه كانت تنظر إليه وكأنها تراه لإول مره ؛ كأنها تتأمله ؛ كأنها تذوب من فرط شوقها لرؤيته بعد أن طال غيابه ؛ هذا أول لقاء يجمعهما بعد غياب طويل ...

تسأله : هل مازلت تذكر أنك في هذا المكان أقسمت أنك لا تطيق فراقي ولا صبر لك علي بعدي ؟!.....

قالت : أنا أقسم لك الآن ؛ أني -- أنا التي لاصبر لي علي بعدك ولاقدرة لي علي فراقك ؛ أنا من أذابها حبك وعذبها بعدك وأضناها جفاك وهجرك ؛ أنا من لا

أهتم لأحد في وجودك ولا أشتاق لغيرك في غيابك ؛ أنا من عَشقتك بروحها وقلبها ؛ ماذا عساي أن أفعل وأنت لي كروحي متي غبت عني فارقتني الحياة ....

نفذت كلماتها إلي أعماق قلبه فاقترب منها ليمسح دموعًا باتت تسيل علي خدّيْها يقبل يديها ويسترضيها ويطلب عفوها ؛ ويستميل بأعذب الكلمات وأرق العبارات قلبها كما كان يفعل من قبل

أما هي فقد باتت تتمنع ؛ الآن عادت لتتمنع من جديد إنها تحب منه ذلك ؛ تحب أن تكون معشوقته وأميرته ومالكة قلبه ، يطلب رضاها ويخطب ودها ؛

ياعزيزي إنها فطرة النساء ؛ من بداية الخلق ؛ وعادة لن تتغير في حبهن للرجال ؛ زعموا أن الملائكة سألت آدم : هل تحب حواء ؟ قال: نعم ، وسألوا حواء : هل تحبينه ؟ قالت : لا ، وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من الحب